محاولة ثانية في اطروحة : شـــرق الاردن الفلسطينية

(١)

تتخذ هذه المحاولة شكل حوار مع الرد الـــذي نشره الاخ عبد الحفيظ محارب بعنوان « المطلوب تغيير النظام وليس الكيان » في العدد ٥٠/٥١ من « شؤون فلسطينية » ، على مقالي المنشور في العدد ٤٩ من المجلة نفسها بعنوان « محاولة اولى في اطروحة شرق الاردن الفلسطينية » . وفي هذه المحاولة الثانية اناقش ما اورده الاخ عبد الحفيظ بغرض التوصل من خلال ذلك الى تثبيت بعـــض القضايا التي حاولتها سابقا او توضيحها وتجذيرها.

الشرق اردنيون :

اعترض عبد الحفيظ على هذا الاصطلاح وطرح تساؤلات استنكارية عنهم من مثل « من هم ؟ » و « من اي بلاد قدموا ؟ » واجابة على ذلـــك اقول ان استعمال هذا الاصطلاح تم بهدف محـــدد هو تمييز المواطنين الذين كانوا يعيشون في المملكة الاردنية الهاشمية (واخلافهم طبعا) قبل ضـــم فلسطين الوسطى (او الضفة الغربية) اليها ، تمييزهم من اصطلاح « الاردنيين » الذي شمـــل بعد الضم الشرق اردنيين والفلسطينيين الذيـــن جرى الحاقهم بالجنسية الاردنية ، وهم سكـــان فلسطين الوسطى ومن لجأ اليها والى شـــرق الاردن من المناطق الفلسطينية المحتلة . ليس في التعبير اذن غموض او ابهام ، ولكنه يأتي من خلال الضرورة المنهجية من جهة ، ومن حيث الضرورة السياسية من جهة ثانية ، ذلك بان تعبير «الاردنيين» لا يزال ، من جانب دستوري اردني ، ومن جانب القانون الدولي كذلك ، ينطبق على الفلسطينيين المتجنسين بالجنسية الاردنية .

وفي الحقيقة انا لم اعتبر الشرق اردنيين فلسطينيين لسبب واحد هو ان اصطلاح «الفلسطينيين» اطلق منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى على المجموعـــة السكانية العربية التي كانت تعيش في فلسطـــين بحدودها الانتدابية ، دون سواهم ، وترسخ هذا الاصطلاح طوال ما يزيد عن نصف قرن . وان مما يزيد ترسيخه ظهور مشكلة **خاصة** بهذه المجموعـــة السكانية ، اوجدت هموما **خاصة** مشتركة لديهم ، ترتب عليها مصالح **خاصة** بهم واهداف متماثلة ، مما يجعل الاصطلاح يأخذ ليس فقط معنى تراثيا ، وانما معنى محايثا لهذه المشكلة الخاصة وما يترتب عليها من هموم ومصالح واهداف . ولا يتناقض ذلك مع حقيقة ان الشعبين الفلسطيني والشـــرق اردني (البعض يفضل لفظ « الشعب » عند الحديث عن « شعوب » الامة العربية) عاشا في كيانـــين سياسيين منفصلين على ارض فلسطين التاريخيـــة (اصطلاح سأتناوله بعد قليل) ، من حيث ان الكيانين كليهما — وهذا رأي يسهـــل الدفـــاع عنه — كانا مصطنعين جزىء بهما الوطن العربـــي الواحد ، وبغيرهما من الكيانات ، الى نتف اقليمية وشظايا في ضوء مصالح الدول الكبرى . واذا لـــم يطلق تعبير « الفلسطينيين » على الشرق اردنيين ، فلم يكن ذلك نتيجة استناد الى التاريخ او للوقائع الجغرافية او الحقائق الاثنية ، وانما بتأثير مـــن الدول الكبرى (بريطانيا وفرنسا على وجه التحديد) التي مزقت الارض ونتفت الشعب واطلقت على المزق تسميات تخدم من خلال مدلولاتها مصالحها واهدافها في الوطن العربي .

ومع هذا فانه تجدر الاشارة الى ان اصطـــلاح « الفلسطينيين » الذي ترسخ بقيام فلسطين الانتدابية كان يتفاعل منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى فـــي الرأي العام الفلسطيني . وكي لا تتهم هذه المحاولة بالاقليمية ، علي ان اذكر هنا ان الفلسطينيين كانوا مؤسسين في الاتجاه القومي الذي استهدف انفصال الامة العربية ، على اساس قومي ، من جنـــد الامبراطورية العثمانية . ويكفي الاستشهاد في هذا الصدد بجمعية العربية الفتاة (التي عرفت فيما بعد باسم الفتاة) التي اسسها في باريس عدد من الطلبة العرب ونقلت الى بيروت في العام ١٩١٣ والى دمشق في العام ١٩١٤ والتي كانت اول جمعية عربية تطالب بالاستقلال الكامل لا مجرد الحكـــم الذاتي ضمن الامبراطورية العثمانية . وموطـــن الاستشهاد هنا ان اثنين من مؤسسي الجمعيـــة السبعة كانا فلسطينيين (هما عوني عبد الهـــادي ورفيق التميمي) . وقد اوصل هذا الاتجـــاه القومي ثلاثة من الزعماء الفلسطينيين المنخرطين في الحركة القومية الى اعواد المشانق (هم احمـــد عارف الحسيني ومصطفى الحسيني وعلي النشاشيبي **الذين اعدموا في ايار ١٩١٦ بقرار من الديـــوان العرفي الذي شكله جمال باشا في عاليه**) .